حماية الملكية الفكرية ..حماية للعقل

تركي العسيري

قانون حماية الملكية الفكرية في أي بلد يقوم بحماية أغلى وأثمن كنز من ثروات البلد وهو العقـــل، ولذلك يمكننا أن نطلق عليها أيضا حماية الملكية العقلية، التي تهدف إلى حفظ حقوق التأليف الناتجـــة بشكل رئيسي من فكر الإنسان وكل مجهود عقلي يقوم به، والتي تتشكل بصور مختلفة: كتأليف الكتـــب، كتابة المقالات العلمية، ابتكار طرق إدارية، الصور والرسوم، الأفلام المرئية والمسموعة، والأهم من هذا كلـــه تطويـــر برامج الكمبيوتر. والإجراءات الروتينية التي تتبعها الدول لحفظ هذه الحقوق تكون مختلفة، ولكن في أغلـب الأحوال تتم بعد قيام صاحب الابتكار والفكرة بتسجيل فكرته والحصول على حقـوق التأليـف وأخذ براءة الاختراع من إحدى الجهات الحكومية والمسئولة عن حماية حقوق الملكية الفكرية في الدولـــة، وقد تكون هناك رسوم بسيطة، وبمجرد قيام الشخص بالتسجيل، فقد ضمن لنفسه وعقله الحفاظ على ممتلكاته من النسخ والتزوير والسرقة - أي من القرصنة Piracy بشكل عام .

النظرة الاقتصادية تشير إلى أن الإنسان ليس بحاجة إلى شهادة في تخصص علم الاقتصاد حتـى يقتنـــع أن دخول أي صناعة جديدة وتطور تقني تشهده أي بلد يؤدي إلى زيادة في الناتـج القومي المحلي GDP للدولة. ولو فكرت قليلاً وأخذت الصناعات الحديثة كالاتصالات والطيران ووسائل الترفيه وغيرهـا، ستجد أنهـــا ساهمت في زيادة اقتصاد الدولة، ووفرت آلاف الفرص الوظيفية. ليس هذا فقط، بل إن دخول أي صناعـــة جديدة ينتج عنه ارتباطات لجهات أخرى، فلو تأخذ الهاتف على سبيل المثال لا الحصر، ستجد فرصـا أخرى لبيع أجهزة الجوال والاتصالات، بل حتى دخـــلت شركـــات الإعلانـــات الهاتفيـــة، وهناك شركات الترفيه المتخصصة في النغمات والرموز على الأجهزة، وظهرت شركات أخرى لصيانة أجهزة الجوال وخدمـــات الدعم الفني، وعشرات الشركات الأخرى المتعاقدة Contractors مع الشركة الأم، والمزيد والمزيـــد (وكله في النهاية من مصلحة المواطن في توفير المزيد من الفرص الوظيفية)، فلو تلاحظ أن جميعها ظهرت بسبب دخول شركة اتصالات في دولة ما، وإنها مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً. كذلك الحال مع صناعـــة البرمجيـــات Software Industry، فعندما تثبت هذه الصناعة وجودها في أي دولة، ستلاحظ زيادة في مبيعات أجهـزة الكمبيوتر، وستظهر المزيد من معاهد تقدم دورات تدريبية، وستكون هناك جهات وشركـات استشارية للمشاريع الكبيرة، وسيزداد الطلب على شركات أمن المعلومات Security وشركات إنتاج وحدات التخزين Storage Mediums، وستكون الحاجة لمزيد من المبرمجين والمصممين والمهندسين، و.. و.. وغيرهـــا الكثير. وهذه القفزات الإيجابية نتيجتها قاعدة ثابتة عند دخول أي صناعة جديدة .

النظرة التنموية، عندما يقوم أحد الأشخاص بإنتاج برنامج أو تطبيق فكرة ناجحة لها صدى، فالنتيجة ستكون واحدة من اثنتين: أما الاستمرار في تطوير هذه الفكرة وزيادة الإنتاجيـــة Productivity التي تقـدمها، وإما الإحباط واليأس سيكون من نصيبه. فلو قضيت عشرات الأشهر في كتابة كتاب أو تطوير برنامج، وتمـــت حماية حقوق ملكيتي الفكرية له، فماذا ستكون النتيجة؟

بكل تأكيد لن أقف مكتـــوف الأيدي شاعراً بالاكتفاء الذاتي، بل ستزيد من حماس الشخص والتطلع إلى التطوير والتنمية في هذا المجال، ويبدأ بالعمل أكثر مـــن المرة السابقة لاستمرار إنتاجيته. من ناحية أخرى، عند قيام المخربين بنسخ ما جفت عليه أقلامي من التعب، وبادر الجميع بخرق قانون حماية الملكية الفكرية، فستجد الإحباط واليأس عند هذا الشخص ما الذي لا يعلمـه إلا الذي ذاقه فقط، بل قد تصل الأمور إلى كره المجتمع الذي حوله، وعد التفكير مطلقا بنفعهـم أو تطويرهم، وإن كان شخصاً محظوظاً قد يبدأ يفكر في السفر أو الهجرة، أو تجده في المقاهي يسب ويشتم ويمارس حياة بائسة تقليدية .

الدعوة إلى الابتكار Creativity، كما ذكرت في بداية هذا المقال، فإن العقل البشري هو أثمن وأغلى مصدر على أي دولة الحفاظ عليه وحماية حقوقه، ولا يختلف شخصان على أن تطور الأفراد والمجتمعات ناتـج من الابتكار وخلق أفكار جديدة والتفكير في حلول تزيد من إنتاجية الفرد والمجتمع. من الثقافات التي تربينا عليها منذ نعومة أظفارنا - نتيجة للعوامل التعليمية والاجتماعية- هو الانقياد وعدم التفكير مطلقاً في استخدام كلمـة «لماذا؟» فتجدنا منقادين دون أن نعرف لماذا وإلى أين ننقاد، ويصبح تفكيرنا محدوداً لا يتعدى نطاق المكـان الذي سنقضي فيه الليلة بعد نهاية يوم العمـل أو مكان قضـاء العطلـة الصيفيـة، وهذا الشـيء - مع الأسف الشديد - منغرس فينا وفي ثقافتنا. إما أن بدأ الشخص يسأل ويكثر من استخدام الكلمة «لمـاذا؟» فهنا ستكـون بداية الطريق إلى عالم الابتكار والنظر إلى الأمور من زوايا أخرى، فعندما أرى مشكلة ما في جهة تنظيمية، أستطيع أن أطرح أسئلة لماذا؟ لماذا لا نقوم بتغيير طريقة إجراء هذه المعاملة حتى نختصر الوقت، لم لا نقوم بتحويل استخدام هذه الخطوات من قاعد ورقية إلى قاعدة معلوماتية؟ وغيرها من الأسئلة التي تنتج في النهاية أفكارا وحلولاً جديدة، فالحاجة هي أم الاختراع. إن نظـرنا إلى مجتمعنـا السعودي بشكـل خاص؛ فلديه من الطاقات الكامنة التي تساوي ملء الأرض ذهباً، وأختص بالطاقات الكامنة هنا بالطاقات العقلية في العنصـر البشري، التي إن استثمرت بشكل صحيح ستغطي ما يقلل اعتمادنا على المصـادر الأخرى، فهذا شـاب له من الأفكار الكثير، وهذه شابة لها من الإبداعات ما يفوق التوقعـات، وعدم وجود الفرص السانحـــة لهـم والإمكانات شيء محبط ومغيظ، وقد يحول الإنسان من شخص منتج إلى مستهـــلك. والتجـربة الهنديـة خير دليل، فقد أصبحت الشركات الأوروبية والأمريكية تستورد عشرات الآلاف من الهنود سنويـــا بسبـب عقولهم.

أثبت قانون حمايـــة الملكيـــة الفكرية وعوده عند تطبيقـه في الدول المتقدمة بهـدف حماية عقـول الأفراد وانتاجاتهم الفكرية في المجتمع، وهو يؤدي إلى زيادة نمو المجتمعـــات من نواح عدة كالنواحي الاقتصادية والتنموية والبشرية، وهو أيضاً العامل الرئيسي لخلق أفكار جديدة وتطويـــر الصناعات. ولو نظرنا في شريعتنا السمحة، لاكتشفنا أن الدعوة إلى حماية الملكية الفكرية منذ 1400 سنة مذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى بسورة النساء ((يا أيها الذين امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)) وفي سورة البقرة ((ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)) ...

vb4arab.com